خطبة : اليأس ظلام .. والامل ضياء

الخطيب : يحيى العقيلي

معاشر المؤمنين

إن اليأس ظلامٌ والأمل ضياء ، فإن

كثيراً من الناسَ ينتابهم حين تشتد الكروبُ وتزداد الهمومُ وتتأخر الغايات : اليأس والإحباط والقُنوط، وهونقيض الرجاء والأمل ،

واليأس قيدٌ ثقيلٌ يمنع صاحبه من حرية الفكر وبريق الامل وحيوية الحركة، فيقبع في مكانه أسيرا محبطالسيطرة اليأس على نفسه، وتشاؤمه من كل ما هو قادم، قد ساء ظنه بربه، وضعف توكله عليه، وانقطع رجاؤهفيه ،

كيف يتمكن اليأس من المؤمن ،عباد الله، وهو يوقن بقوله تعالى " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيأَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَاآَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" [الحديد:22، 23].

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقٌ عمليٌ للهدي القرآني ، وتأملوا ، عباد الله ، كيف تحقّق الأمل بأبهىصورةٍ وفي أحلك الظروف ، حين انطلق جيشُ المسلمين بعد معركة أحد ، وقد أصاب المسلمين فيها نكبةٌ كبيرةمن الشهداء والجرحى ، وباتت المدينة ليلتها بين بكاء الثكالى وآهات الجرحى ، وما أن بزغ الفجر حتى نادىالمنادي للخروج في أعقاب المشركين

، وأنطلق المسلمون بجراحهم والامهم الى حمراء الأسد ، فخوفهم نعيم بن مسعود ، وكان على شركه ، منقريش عودة جيشها لإستئصالهم ، فماذا كان ردهم ؟ قال عنهم ربّهم مادحا ومثنيا عليهم :

"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(173ال عمران )

معاشر المؤمنين

لايعني عدم اليأس الا يتألم الانسان او يحزن للمصاب ،وان يتجّرد من بشريته ، ولكن إيمانَه بالله تعالى يقيّدذلك الالم ألاّ يصل لدرجة القنوط واليأس ،

فيشع الامل في قلبه مع لذعات الالم ، بأن الفرج بإذن الله آت ولو بعد حين ،

وفي الحديث القدسي الشريف: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظّن بي ما يشاء»(احمد) ،

قال الشوكاني : "فمن ظنّ بربّه الخير عامله الله سبحانه على حسب ظنّه به، وإن ظنَّ بربه السوء عامله اللهسبحانه على حسب ظنّه به "

كما ان المؤمن يحسن الظن بالله لان أمره كله خير ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"عجبا لأمر المؤمنإن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضرّاء صبرفكان خيرا له"(رواه مسلم)

معاشر المؤمنين ..

يتسرب اليأس لقلوب البعض لأسباب عديدة ، من أهمها ضعف الايمان بالله تعالى وهشاشة الاعتقادبربوبيته وألوهيته بأنه الرب المدبر لكل شيء ، لارادّ لحكمه ولامعقب لأمره ، ، وهذا الضعف الايماني ناتج عنالغفلة عن ذكر الله وعن اداء الواجبات والعبادات ،وهجر القرآن ، ونسيان الاخرة ، والانغماس في شهواتالدنيا وملذات النفس ، فيكون المرء عندها بعيدا عن ربه ، لايتوكل عليه ، ولايستعين به ، ولايلجأ اليه ، فيواجهمشكلاته معتمدا على ذاته الضعيفة التي سرعان ماتنهزم امام الشدائد والهموم ،،

قال رجل لأحد الحكماء: إن لي أعداءٌ ، فقال له: " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" [الطلاق:3].. فقال الرجل: ولكنهم يكيدون لي، فقال له: " وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" [فاطر: 43].. قال الرجل: ولكنهم كثيرون،فقال له: " كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ " [البقرة: 249]!..

ومن أسباب اليأس ،عباد الله، : ان البعض يكثر من ذكر المشاكل دون الحلول ، والسلبيات دون الايجابيات ،والالام دون الامال ، والهزائم دون الانتصارات ، فيشتّد الظلامُ واليأس ، والواجب يقتضي الحكمة والعدالة فيوزن الامور، والنظرَ للقضايا من زواياها المختلفة ، قال تعالى " وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَفَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104النساء)

حين أحاط الأحزاب بالمدينة وبلغت القلوب الحناجر وظن المنافقون بالله الظنونا ، استّحق المسلمون مدح اللهتعالى لهم بإيمانهم وثقتهم بالله جلّ وعلا " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَاللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22الأحزاب)

نسأل الله القدير أن يفرج الهم عن المهمومين ، والكرب عن المكروبين ، والظلم عن المظلومين ،اقول ماتسمعونواستغفر الله لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم ..

معاشر المؤمنين

يزداد خطرُ اليأس اذا انتقل من الأفراد الى القادة والعلماء والأمة ، بالانبهار بقوة الأعداء وشدة بأسهم وعظيممكرهم ،فلايرون للنصر أملا ، وينهزمون قبل أن يُهزموا ،

كما هو واقع الحال للأمةِ اليوم مع الصهاينة والغرب المنافق معهم ، في حروبهم الغاشمة في فلسطين ولبنان، متناسين قول الحق جلّ وعلا " حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَننَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110يوسف)

واليكم عباد الله مثلا من تاريخ أمتنا في القرن السادس الهجري ، حين تمكّنت الحملات الصليبية من إنشاءممالك لهم في شمال الحزيرة و الشام كانت كالخناجر في قلب الأمة

وكان اخرها مملكة بيت المقدس ، بعد احتلاله وتدنيسه وقتل سبعين الفا من المسلمين في رحابه ، حتىخاضت خيول الصليبين في دماء المسلمين ، وكانت حال المسلمين كحالهم اليوم من الفرقة والنزاعاتوالتشتت، ولابريق أمل في دفع اطماع الصليبين ، فضلا عن التفكير بتحرير البلاد وتطهير المقدسات ،

عندها هيأ الله للأمة القائد البطل نور الدين محمود زنكي ، الذي قرأ واقع الأمة بعمق ، وشخّص أدواءهابحكمةٍ وبصيرة ، ولم يجد اليأسُ الى قلبه سبيلا ، لصدق إيمانه ، وعمق فهمه لدينه، وإخلاصه لأمته ، ووعيهلواقع أعدائه ، فوضع خطة التحرير التي تضمنت :

تجديدَ إيمان الأمة بدينها وعقيدتها ، وتعزيزَ وحدتها وتوحيد كلمتها ، وحشدَ قواها لغاية واحدة : رفعِ رايةالاسلام وتحريرِ ارضه ومقدساته ،

وشرع في تنفيذ هذه الخطةِ المباركة مستعينا بالله تعالى ومعه ثلةٌ من القادة والعلماء يساندونه ويؤازرونه ،فتمت له الوحدة ، وتوحدت له الشعوب ، وحُشدت له القوى ، ثم شرع في حركته الجهادية المباركة في انتزاعالإمارات الصليبية في الشام إمارةً إمارة ، وعينه على القدس ، ومن شدّةِ تفاؤله بتحريرها وثقته بربّه ، أمربعمل منبرٍ له ، ليُخطب عليه يوم تحرير الاقصى ، وتحقق ذلك لقائده اللصيقِ به في آماله صلاح الدينالأيوبي ، الذي أكرمه الله بتحرير القدس ، فأمر بإحضار ذلك المنبر ، وخطب عليه الخطيب في أول جمعة فيالمسحد الأقصى بعد تحريره ، وهكذا انتصر الأمل والايمان على الضعف واليأس والخذلان .